هاجس البقاء في شعر الأرجاني

أ. د. رباب صالح حسن
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية
drrabab03@gmail.com

الملخص:
هذا البحث محاولة لقراءة شعر شاعر من العصر العباسي ينتمي لمدرسة الصنعة والتصنع، وقد قيلت في شعره آراء نقدية بعضها وسم شعره بالتقليد والجمود.هذه الدراسة تختلف عن الدراسات السابقة التي قرأته قراءة موضوعية أو فنية أو بلاغية فالباحثة تحاول تقصي حضور هاجس البقاء أو الخلود في شعر الأرجاني هذه الثيمة التي شغلت فكر المبدعين على مرّ الزمان.
البحث لا يحاول العكوف على استخراج الفظ البقاء أو الخلود أو الحياة في شعر الشاعر بل يدرس حضور هذه الفكرة ضمن موضوعات الشاعر، وعليه قُسِم البحث على محاور أربعة:
المحور الاول: هاجس البقاء من خلال الاخر (الممدوح)
المحور الثاني: هاجس البقاء من خلال الاخر (الحبيبة)
المحور الثالث: هاجس البقاء من خلال الانا (الفخر بالشاعرية)
المحور الرابع: هاجس البقاء من خلال الزمان
وفي نهاية البحث نتائج توصل اليها خلال الدراسة.
الكلمات المفتاحية: هاجس، البقاء، الأرجاني، العصر العباسي

Obsessed with staying Argani hair

Prof. Dr. Rabab Salih Hassan
Mustanairiyah University

Abstract:
This research is an attempt to read the poetry of a poet from the Abbasid era who belongs to the school of craftsmanship and artificiality, Critical opinions were said about his poetry, some of which characterized his poetry as imitation and stagnation.
This study differs from the previous studies that I read objectively, artistically or rhetorically. The researcher tries to investigate the presence of the obsession with survival or immortality in Argani poetry, this theme that occupied the thought of creators over time.
The research does not attempt to extract the terms survival, immortality, or life in the poet's poetry, but rather studies the presence of this idea within the poet's themes, Accordingly, the research was divided into four axes:
- The first axis: obsession with survival through the other (Praised).
- The second axis: obsession with survival through the other (the beloved).
- The third axis: the obsession with survival through the ego (pride in poeticism).
- The fourth axis: obsession with survival through time.

At the end of the research, the results reached during the study.
Keywords: obsession, survival, Argani, the Abbasid era

تقديم:

في معاني البقاء والخلود:

١- الخلود في الاساطير:

لقد واجه الانسان منذ وجوده على هذه البسيطة محاولات إيجاد وسائل تهديه إلى الخلود ، وبقاء الذكر وحاولت الاساطير، كونها العلم البدائي الذي يفسر الأصول السببية لأحداث الطبيعة ونظم البشر [١]، ان تقدم التفسيرات للمحاولات العبثية التي قام بها الانسان الاول حول هاجسه بالخلود والبقاء.
وأقدم المحاولات الانسانية الاسطورية التي حاولت الدخول في العالم اللازماني هي ملحمة (كلكامش) التي صورت لنا فشل البطل في سعيه للحصول على نبتة الحياة والخلود الابدي لمن يتناولها [٢].
أما الاساطير اللاحقة فاتكأت على ملحمة كلكامش وصورت أن الآلهة هم وحدهم من يعيشون إلى الابد أما البشر فأيامهم معدودة وأن ما يعملونه ضرباً من العبث [٣].
وقد صورت كثيرٌ من الاساطير أسباب فناء الانسان وموته فبعض الاساطير عزت سبب الموت والفناء إلى خطأ ارتكبه الأرنب في نقل رسالة الإله (القمر) مع القملة لتعد الانسان بالخلود وكانت الرسالة تقول: (كما إني أموت وفي مماتي أحيا). وصادف الارنب البري القملة في طريقها ، ووعد بنقل الرسالة غير أنه نسيها وأبلغ البديل الخطأ الذي يقول: ((... كما أني أموت وفي مماتي أفنى))[٤].

والملاحظ على تلك الملاحم والاساطير أنها لم تناقش فكرة الموت والحياة بل أكدت ((إمكان كسب الخلود من خلال الشجاعة والاستبسال في سوح الوغى))[٥].
لقد أفصحت الاساطير القديمة عن عجز الانسان أمام قوة الزمن الجبارة عن طريق فشل ابطال تلك الاساطير من نيل الخلود.

٢- موقف الفلسفة من فكرة الخلود:-

للفلسفة موقفان من فكرة البقاء والخلود الاول يتبدى من خلال رأي افلاطون وارسطو اللذين ذهبا إلى أن الأبدية يمكن أن تكتسب عبر التناسل والإنجاب..((فاضطرابات الحمل تظهر في النسل ليس فقط لأن الاعقاب يشبهون آباءهم إنما لأنهم يحملون في ذواتهم سمات العقل الذي انجبهم))[٦].
واصحاب هذه النظرية اهتموا بالحاضر فلم يعالجوا المستقبل وهذا الاستقراء يؤكده قول سقراط ((السعادة ليست بعيدة عنا لكنها في السرور الحالي الوقتي... فلا نهتمن بالمستقبل لكونه ليس لنا))[٧].
أما الموقف الثاني فيرى أن (الكل يتحرك يسيل)[٨].
وذهبوا إلى أن الموت ((طالما كنا موجودين فإنه غير موجود))[٩] وهذه الفكرة جعلتهم يتجهون صوب اللذات بل ويغرقون فيها.

٣- فكرة البقاء والخلود في الديانات

أما قضية الخلود في الديانات ، فقد أخرجت الإنسان من دائرة الفكر الاسطوري الذي يعتقد بدائرية الزمن المستشفة من تعاقب الفصول. وبينت الديانات السماوية أن وجود الانسان على هذه الارض هو وجود زماني في الدنيا ، أما وجوده في الآخرة فهو وجود خالد سرمدي قال تعالى: ﴿ **وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ الأُولَى**﴾ [١٠].
ونرى أن القرآن الكريم أشار إلى قضية الخلود والبقاء المرتبطة بالآخرة فمرة يقرن الخلود للكافرين في جهنم ومرة للمتقين في الجنة ، ومرة يقرن الخلود بفلسفة المتحدث عنهم ، فذكر الخلود مع الكافرين في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [١١] وقوله: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ*خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ**﴾ [١٢].
وقرن الجنة بالمؤمنين في قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [١٣].
وقد يصور العلي القدير تقديرات للبشر في تحصيل الخلود فصور ذلك الذي يجمع ماله بقوله عز من قال: ﴿ **وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ*الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ*يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ**﴾ [١٤].

٤- موقف الأدب من فكرة البقاء

لم يكن الادب بعيداً عن تناول فكرة الخلود والبقاء في الشعر ، إذ صدرت العديد من الكتب والمقالات التي ناقشت ثنائية الحياة الموت أو ثنائية الفناء والبقاء[١٥].
وقد حاول الشعراء مد جسور الخلود عبر موضوعاتهم المتعددة على الرغم من شعراء العربية في العصور الاولى لم تكن لهم رؤية فلسفية واضحة إلا أنهم عالجوا قضية الخلود بأدوات أقرب إلى المثال والخيال منها إلى الواقع ولاسيما في فني المديح والغزل وبذا يكون للادب فضلٌ في مد الفلسفة. ((بأشكال من التعبير بالغة النجاح عبرت بالفكر الفلسفي من صيغة المعادلة الباردة الميتة إلى الحياة وساعدت على الدخول إلى غير عالم المختصين))[١٦].
وعليه فإن اللوحات التي يقدمها الأدب تتحول إلى مصدر رئيس لتأسيس تفسير فلسفي أو نظرية فلسفية. ففي الشعر الحكمي – الذي بقي لنا من الجاهلية - حكمٌ وأقوال ومواقف تكاد تكون فلسفية ارتدت قالب الشعر فناً جميلاً مؤثراً ، بالاضافة إلى ذلك فلقد توفرت في العربية اكثر من محاولة في تحميل الشعر موقفاً فلسفياً كاملاً))[١٧].
وبعد هذا التعريج على المواقف الأربعة الأسطوري ، والفلسفي والديني والادبي ، ندخل إلى رحاب شعر الأرجاني ، ونحاول من دون إرغامه استشعار هاجس ، البقاء والخلود لديه والذي سيتم عبر محاور متعددة تلتقي جميعها عند نقطة واحدة هي الخلود.
لقد خضع شعر الشاعر إلى موازين النقد العربي وكانت فيه مجموعة من الاراء نحاول استجلاء بعضها:
فقد قال فيه السمعاني: ((كان الأرجاني- مليح الشعر رقيق الطبع، سار ديوان شعره في الآفاق))[١٨]. وقال ابن الجوزي ((وله الشعر المستحسن يتضمن المعاني الدقيقة))[١٩].
وجعل العماد الاصفهاني الارجاني مع الطغرائي والابيوردي والغزى الذين هم ، أركان الفضل [٢٠].
أما الدكتور علي جواد الطاهر فلم ير من تلك الاراء إلا أقوالاً جزافاً وأعمالاً عجافاً ولا يجد في ديوانه ما يستحق الوقوف ولم يكن في موضوعاته واسلوبه مبدعاً [٢١].
وعليه فلابد لنا من تقديم اعتذارٍ للدكتور الكبير فإن هو لم يجد فإننا وجدنا ما يستحق الوقوف عليه وفي اكثر من ظاهرة.
وأولى تلك الظواهر هي ظاهرة البقاء أو هاجس البقاء والخلود في شعره.
لقد حمل شعر الأرجاني ثنائية الفناء والبقاء ولأن ديوانه ضخم جداً ويقع في ثلاثة أجزاء الينا أن نناقش هذه الثنائية كلاً على حدة عسى الايام تجود كجود ممدوحي الأرجاني بجعل هذه التفصيلات كتاباً يضمه عنوان ثنائية البقاء والفناء في شعر الأرجاني.
ونتيجة للظروف السياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية المتهدورة التي مرت بالأمة الاسلامية في السنة المائة الخامسة للهجرة وجدنا شاعرنا يتأرجح بين هذه الثنائية.
وسيقوم البحث بدراسة موضوعة البقاء في شعر الأرجاني وفق محاور يعتقد الباحث أنها المحاور التي دار حولها هاجس الأرجاني بالبقاء ، ويقع العبء الكبير من هذا الهاجس حول موضوع محدد. وهذه المحاور هي:

المحور الاول هاجس البقاء من خلال الآخر ((الممدوح)).
المحور الثاني هاجس البقاء من خلال الأنا ((الفخر بالشاعرية)).
المحور الثالث هاجس البقاء من خلال الآخر ((الحبيبة)).

المحور الرابع هاجس البقاء من خلال الزمان.

إن شعر الارجاني داخل في الخط السلطوي الحاكم ، آنذاك بل أن أكثر من ٨٠% من شعره يكاد يكون في المديح الرسمي وعلى الرغم من ذلك وعلى الرغم من انتماء الشاعر لخط المدرسة المتصنعة فقد حفل ديوانه الضخم بهاجس رغبوي بالحياة وبالبقاء واستحصال الخلود، ولو لوقت قصير لكنه استحصل خلوداً دائماً من خلال ابياته التي فخر بأنها بنت الفكر والساعة وانها ليست متكئة ولا مقلدة لغيرها.

من هنا سندخل على شعر الشاعر من مداخله وموضوعاته لتكون لنا مفاتيح الخلود عند الشاعر:-

١- المحور الاول: هاجس البقاء من خلال الآخر (الممدوح).

يقول ابن قتيبة: ((إن الإنسان الذي لا تصاغ إنجازته شعراً شذت مساعيه وإن كانت مشهورة ودرست على مرور الأيام وان كانت جسماً ومنْ قيدها بقوافي الشعر أوثقها بأوزانه وأشهرها بالبيت النادر والمثل السائر والمعنى اللطيف أخلدها على الدهر)) [٢٢].

لقد نظر ابن قتيبة لأفعال العرب ولاشادتهم ببعض الشعائر والقيم العرفية واحسّوا أنها تخلدهم فعملوا على استحسانها والإشادة بفاعلها وسيلحظ القارئ ارتباط المحور الاول (الممدوح) مع المحور الثاني (القصيدة) وتكاتفها في انجاز قصيدة قائمة على الإحساس بضرورة خلق بدائل عن تلف الجسد الانساني فلا بد من عمل يخلد الذكر. وبل نجد ارتباطاً ما بين المحور الاول والرابع من خلال ثنائية الممدوح والزمان.

لذلك ((قرر الموروث من الشعر حقيقة لعلها كانت راسخة في البنية الفكرية للذات والمجتمع وهي أن ممارسة القيم الاخلاقية الموروثة في العرف الجماعي سبيل إلى خلود الذكر مادام خلود الجسد مستحيلاً))[٢٣].

لذلك حاول الشعراء ومنهم الأرجاني تقديم أنموذج مدحي يقوم في أغلب الاحيان على مبالغات عرفية لكنه في الوقت نفسه يمنح الخلود وبقاء الذكر للممدوح [٢٤]:

غيثٌ من الجُود يَجود دائماً — سقّياً له من غيثِ جودٍ جائدِ
يا مرضي الأمال بالمال ندىً — ومكرم القُصّاد والقصائدِ
ومن له في كل مَمْضي ساعةٍ — تَعجيلُ رفدٍ وافرٍ لرافدِ
ومن أبى أن يستهلّ كفُّه — يوماً بجود قاصرٍ لقاصدِ
لقد علا ذكرك ما بين الورى — في فم كل صادرٍ ووارِدِ

لقد تحققت فكرة الخلود بالنسبة للممدوح عن طريق خلود الذكر شعرياً (معنوياً) والخلود عن طريق شعيرة عرفية وقيمة اجتماعية تعارف عليها العرب مذ خلقوا إلى يوم قيام الساعة وهي شعيرة الكرم والملاحظ أن هذه الشعيرة كما منحت الخلود لصاحبها فإنها منحت الحياة والديمومة للمكرم ولعل ارتباط هذه الفكرة بدلالات لفظية توحي بالحياة من مثل ((الغيث مكرر السقي... المال والندى ، الجود، الصادر، والوارد)) فهي الفاظ فيها إحساس بهاجس بقاء، ويقول[٢٥]:

ذو كرمٍ ذكرُهُ — يحدو به كلُّ حادِ
لطرق وارَّده — بالصّادرين انسدادِ
يهدم أمواله — من أجل مجدٍ يُشادِ

فالممدوح ذكره على كل لسان ولأنه يريد ذلك الخلود المعنوي ويبني مجده التليد الذي لا يبلى على مر الزمان فإنه يتلف أمواله التي هي إلى زوال.

ولن نغادر شعيرة الكرم عند الممدوح لأنها ترتبط بالمادح أيضاً من حيث لا نشعر فالبحر والغيث والديمة تصنع الحياة إذن فهي مانحة الحياة للشاعر أيضاً[٢٦]:

والبحر لي جارٌ فلم أطوي الفلا — حتى أنالَ تيمماً بصعيد

لقد اتكأ الشاعر على المثل العربي الذي يقول ((جاور بحراً أو ملكاً))[٢٧] ، وقد استعمله الشاعر اكثر من ثلاث مرات [٢٨] كناية عن التماس الخصب والنماء والخير وكان بإمكان الشاعر أن يجعل لفظة أخرى مكان البحر لكنه آثره على غير لفظة لأنها اللفظة الأثيرة عنده وتكاد تشكل ظاهرة معجمية دلالية في شعره المدحي.

إن تكرار الصورة بالفاظها لتؤكد شعيرة أو معنى في شعر شاعر ما ((يعني رسوخ مدلولها في وعي الشاعر وارتباط زخمها الانفعالي بتجاربه ارتباطاً موضوعياً مباشراً))[٢٩] ويظل امتداد الحياة بمدلولات لفظية تكاد تكون ثابتة في الشعر المدحي الأرجاني ليوحي بطغيان فكرة البقاء للممدوح والمادح معاً انظر إلى قوله [٣٠]:

تسيح مياه الجودِ من بطنِ كفهِ — لكل أناسٍ فهي شتى المشاربِ

لو نثرنا الكلام وجعلناه في اطارٍ علمي جغرافي بحت لكان كالتالي (تسيح مياه البئر من بطن الارض ليشرب الناس منها). فالمعادلة تكون كالتالي

إحياء الممدوح ببقاء الذكر (المدح)
إحياء الناس بعطاء الممدوح ((مياه الجود)).

فهي ثنائية متناغمة قائمة على الحياة والبقاء.

ويظل هذا الهاجس الرغبوي بالبقاء من خلاله المبالغة في استظهار الفاظ الحياة ((المطر ، السحب... وغيرها)) يقول [٣١]:

شـــهاب ديـــنٍ ، مـــا توشّـــحتْ لنـــا بمثلـــه دُهْـــمُ الليـــالي والشُّـــهُب
نـــوءُ نـــدى يُســـتمطرُ الوفـــد بـــه ففـــي يديـــه ابـــداً عشـــرُ ســـحب

((يستمطر + سحب+ ممدوح= حياة+ خصب+ نماء+ خلود))
ويلجأ الشاعر إلى احداث تاريخية ليضمها إلى شعره المدحي ليؤكد شعيرة الحياة والكرم والنماء من خلال حادثة الاستسقاء إذ استسقى الخليفة عمر بن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب [٣٢].

وراق العيـــون لهـــا عـــارضٌ إذا ضـــحك البـــرقُ فيـــه بكـــى
فظـــلَّ كـــأنَّ ارتقـــاصَ القطـــارِ [٣٣] بوجـــه الصـــعيد افتحـــاص القطـــا
فقلـــت وقـــد حـــال دون المســـير: إلا مـــا أقـــلَّ حيـــاءَ الحيـــا
الـــم تـــدرِ -يـــا غيـــث- أم قـــد دريـــت: بانـــا وفـــود إمـــام الهـــدى
نســـير إلـــى ابـــن الـــذي أطلقتـــك يـــداه لـــدى المحـــل لمـــا دعـــا
رأى زمنـــاً- حـــبس الله فيـــ ـــه قطـــر الغمـــام بمـــا قـــد جنـــى
فقـــام إلـــى القطـــر فافتكَّـــه مـــن الأســـر صـــنو أبـــي المصـــطفى
فمـــا الغيـــث مثلـــك فـــي شـــيمةٍ ولكنـــه عبـــدك المفتـــدى
ومـــا ينـــزلُ الغيـــث إلا لأنْ يقبـــلُ بـــين يـــديك الثـــرى
ومـــا جـــاد بـــالطبع كـــفُّ الســـحا بِ بـــل بمثـــالِ يـــديك احتـــذى

إن روعة هذه الابيات لا تكمن في كونها استحضرت وسائل البقاء والحياة، بحسب مرئيات البحث ، ولكن لأنها استحضرت الحياة والخلود من خلال التشخيص فقد جعل الشاعر للبرق ضحكاً وصور المطر بأنه بلا حياء وحاور الغيث ، ومن المعلوم أن لا البرق يضحك ولا المطر يمتلك صفات الكائن الحي لكن بما أن البرق والمطر يمنحان الحياة فلابد أن يمنحها الشاعر حياة الانسان ، ومادام البرق والمطر يمنحان الحياة إلى الابد فإن الشاعر منح البرق والغيث حياة زائلة حياة مهددة بالفناء ، فالغيث ((أسير لا يطلق سراحه= حياة بلا خلود)) إلا ((العباس بن عبد المطلب ورفع يديه بالدعاء للاستسقاء= حياة الخلود ويؤكد على لفظة الأسر والحبس في البيت الذي يليه

رأى زمنـــاً حـــبس الله فيـــ ـــه قطـــر الغمـــام بمـــا قـــد جنـــى

(الجناية والحبس والعقاب) أمور تؤدي إلى فناء الانسان وانتفاء صفة البقاء والخلود وهذا ما اسبغه الشاعر على الغيث مانح الحياة والبقاء للأرض ليعطيها للعباسيين ممثلين بعميدهم العباس بن عبد المطلب. ويبالغ الشاعر في الصفة الانسانية للغيث للوصول إلى الدرجة القصوى من البقاء والخلود للممدوح ، لذا نجده يقول:

فمـــا الغيـــث مثلـــك فـــي شـــيمةٍ ولكنـــه عبـــدك المفتـــدى
ومـــا ينـــزل الغيـــث إلا لأن يقبـــل بـــين يـــديك الثـــرى

فلو عقدنا موازنة رياضية ما بين مانح الحياة والبقاء للأرض (الغيث) وبين مانح الحياة والبقاء للمادح (الممدوح) لكانت كالتالي:
الغيث= أسير+ محبوس+ مذنب+ عبد+ يقبل الأيادي بذل= فناء وعدم خلود الذكر وبقائه الممدوح = ((المستظهر بالله وجده العباس))= مطلق الاسارى (بالدعاء)+ صاحب شيم+ رفعة البلاد والمنعة+ الكرم= بقاء الذكر وخلوده.
ولم يكتف الشاعر في عقد موازناته بين الممدوح والطبيعة مانحة الحياة فكرم الممدوح يشبهه بالزكاة وأن هذه الزكاة التي بلا حدود قد أنالت البحر (حياة) فاغتنى وأن السحاب ليس كريماً بالمطر بطبعه ولكنه سار على المثال الذي يقتدى الممدوح!!!. أنها مقاربات فكرية ذوقية قلما توصل إليها شاعر قبل الأرجاني لكنها منحت الخلود فعلاً للممدوح وللشاعر ، فيقول [٣٤]:

وأعطـــت زكـــاة النّـــدى كفـــه فنالـــت يـــدُّ البحـــر منهـــا الغنـــى
ومـــا جـــاد بـــالطبع كـــفّ الســـحا بِ، بـــل بمثـــال يـــديكَ احتـــذى

وهذه المبالغة أحالت ممدوح الشاعر لأن يتمتع بخصال إنسانية وقدسية ((فك اسر المطر ومن المعلوم أن المسؤول عن ذلك هو الله ﷻ)). مما يجعل يد الزمان غير قادرة على ان تفعل فعلها في الممدوح كما أن تلك الافعال تتمتع ببقاء الأثر وخلوده بحيث لا يستطيع أحد على إزالة ذلك الأثر.
فالكرم كما صورته نصوص الشاعر قد خلق مبرراً لاستمرار الحياة بشكل أخر (معنوياً) فعلى الرغم من اليقين بعدم خلود الجسد ظل الأمل يعتمل في صدور الشعراء والممدوحين لخلق حالة جديدة للاستمرار فعمل على قهر الزمن من خلال وضع الحدود بين الجسد والفعل [٣٥].
فالممدوح يُفني ماله رغبة منه في استحصال الخلود واستحصال المعالي ، وفي هذه الفكرة يقول الأرجاني[٣٦]:

ومـا المـال إلا للـمعالـي ذريـعـةٌ ولا الـذكـر إلا لـلـكـرام خـلـودُ

ولم يتوقف فعل كرم الممدوح على اشكال الطبيعة مانحة الحياة للأرض نرى رغبة البقاء والخلود تتحقق في المادح بما يخلق ثنائية في القصيدة أنها ثنائية متناغمة بين الممدوح مانح الحياة بصفاته القدسية وبين الشاعر الذي ينتظر فعل الممدوح فيه يقول [٣٧]:

وقد كنت أرضى بالقليل قناعة ... زماناً لريح الفضل فيه ركود
فأما إذا ما عنَّ بحرٌ لوارد ... فلا عذر أن يعلو الوجوه صعيد
نعم نوْبٌ الوتْ بما قد حويتهُ ... فلم يبق منه طارقٌ وتليد
سوى أمل علقته بك راحلاً ... ومن أين للآمال عنك محيد

إن النوائب قد ألمت بالشاعر وأخذت منه كل غالٍ ونفيس ولم يبق لديه إلا الرضا بالقليل لأن أصحاب الفضل كانوا قبل زمن الممدوح قلة ركد بما يحيل الشاعر بقراءتنا المتواضعة إلى زمن الفناء والرحيل ، إلا أن ظهر البحر (الممدوح) فعلق الشاعر أماله فيه فلابد لآمال الشاعر أن تتحقق ، ويدبُ فيها الإحساس بالحياة والبقاء.
فالممدوح= البحر= منح الحياة
المادح (الشاعر) = متأرجح في الحياة= الورد للممدوح= بقاء بفعل الممدوح.
ويذكر الارجاني ان مدحه لا يكون في أي انسان وإنما هو مخصوص في ممدوح يحمل صفات قدسية أنه يحمل الخصب والنماء واهب الحياة. فهو (الماء) الذي عبر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ** ﴾ [٣٨] لكن الأرجاني شبه الممدوح بالماء ليعطي للقارئ حرية تفسير بيته الذي يقول فيه[٣٩]:

فلو أن غيرك كان لم أستهدهِ ... لكن، لماءٍ قد ألفت ورُودي

إن ألفاظ الحياة التي تخلد الانسان (الماء، والورد) حملتها دلالة هذا البيت ويؤكد هذا المعنى في قوله [٤٠]:

وجهٌ ترى ماءه ... يروى به كلُّ صادِ

فالبقاء والخلود من خلال الممدوح لكل من يروم الورود، لكل من هو عطشان ليخلق معادلة ثنائية متناغمة تمنح البقاء للممدوح ومن نال عطايا الممدوح.
فـ(الماء والارواء ، والعطشان) دلالات لفظية تمنح بيت الأرجاني هاجساً بالحياة والبقاء كما منحت الممدوح الخلود.

ماء وجهه+ يروى الارواء+ الصادي= بقاء وخلود.
↓ ↓
الممدوح كرم طالب العطاء (بقاء وخلود)

وبالتالي لو حذفت من هذه المعادلة:
الممدوح ← الارواء ← الصادي= فناء
غير موجود منتفي طالب العطاء = فناء
ويتجلى حس بقاء الشاعر باحتمائه ببني العباس الذين كانوا المادة الأساسية لمديح الشاعر يقول[٤١]:

بكم – يا آل عباس- يُرى ... من صروف الدهر، ما عشتُ احتمائي

اذن هم مادة ومصدر خلود الشاعر والمدافعين عنه ازاء الزمان فالدهر لا يستطيع أن يفعل في الشاعر فعله بل سيكون محدود القدرة كون الشاعر احتمى بمن هو أقوى من الدهر – بني العباس- مما يؤكد الصفة القدسية العليا التي بنى الارجاني عليها اغلب شعره المدحي ، فالممدوح أصبح قوة يلجأ إليها الشاعر لتجاوز إحساس العجز والخواء.
ويقول [٤٢]:

وليس من البدائع حين تمحى ... بجودِ يديك آثار الرزايا
ولو أني ملكتُ عنان امري ... وأجراني الزمان على هوايا
لسرت إذن على بصري اليكم ... وما ألمَ المسير ولا تعايا

ومن خلال ما تقدم من نصوص يتبين لنا ان الشاعر قدم لنا رؤية فيها مصداقية من خلال عقد موازنات بين ما هو مادي زائل وبين ما هو معنوي يتمتع ببقاء أيدي وهو الذكر الخالد للممدوح.
ولم يتوقف ذلك الخلود المعنوي على شعيرة الكرم والإشادة بها بل نجد القوة الخارقة في البطش بالأداء ، وصفة الفروسية ، وضياء الوجه ، بما يمنح البطل (الممدوح) الصفات القدسية التي نوهنا عنها سابقاً ولن يطيل البحث في عرض تلك الصفات فديوانه ضاج بمثل هذه الاوصاف لهاجس البقاء عند هذا الشاعر يقول [٤٣]:

يا ماجداً لم ينرْ شمسٌ ولا قمرٌ ... إلا بفضله نورٍ منه يهديها

ويقول [٤٤]:

وغيثٌ ، وفي صدر المطالب غُلّة ... وليثٌ وأطراف الأسنّة غيلُ

هذه الابيات تؤكد قدسية الصفات التي يحملها الممدوح فنلحظ أن الدهر فعل فعله في الشاعر لكنه لم يفعل ذلك الفعل في الممدوح بما يدلل على استنهاض الشاعر لقيم عرفية واجتماعية ودينية مبالغ فيها لمواجهة خطر الفناء فكان اتحاد الممدوح القدسي والشاعر المداح في مواجهة الفناء وخلق عالم من الخلود المعنوي وبرأينا أن مثل هذا الإلحاح على مثل هذه الصور المدحية هو نوع من البحث عن صور البطل الذي افتقدته الامة الإسلامية بتكابل المحن عليها. ويقول [٤٥]:

يبصـــرون الغيـــث والليـــث معـــاً والحيـــا والشـــمس مـــن غيـــر إمتـــراء
ويحيـــــون همامـــــاً ماجـــــداً بشـــره للوفـــدِ عنـــوان الســـخاء

وقبل مغادرة هذا المدخل أقول ان قصائد الشاعر المدحية قامت في أغلبها على قسمين الاول المقدمة الغزلية والثاني المدح ، والملاحظ على القسم الاول هو وجود ارتداد نحو الماضي من تذكر وذكريات وطلل وبكاء فحركة الزمن في هذا القسم حركة ضعيفة توحي بفعل الزمن وجبروته عليه وبذلك تحيل إلى الفناء ، في حين أن القسم الثاني يكون الزمن الحاضر هو المهيمن عليه فشخصية الممدوح التي اقتربت من الالوهية استطاعت ان توقف فعل الدهر وأن تغيب الاحساس بالعجز الذي أحدثه الزمن عبر حركته في الاشياء وعبثه بها ، والشاعر في هذا القسم قد يعود إلى شكوى دهره لكنه سرعان ما يستدرك وأن هذه الشكوى تكون في مقابل حركة الممدوح التي وقف الدهر إزاءها من دون ان يخترقها.

إن هذا الجانب من البحث قام على دلالات لفظية يمكن أن تشكل معجماً شعرياً قائماً بذاته مستمداً من الطبيعة وقوام تلك الدلالات هي (الغيث، والمطر، والسحاب، والديمة، والرياض ، والبحر ، والماء) ، في مقابل (الإرواء، العطش والصادي) وغيرها من الالفاظ ذات الدلالة الايحائية بالخصب والنماء والحياة.

ويمكن أن نطلق على القصيدة الأرجانية في هذا المحور اسم القصيدة المائية الاروائية.

٢- المحور الثاني: هاجس البقاء والخلود من خلال (الانا)

وهذا الهاجس نوع من بحث الشاعر عن الخلود المعنوي فقد ايقن الشاعر في قرارته أنه راحل عن هذه الدنيا وفانٍ إلا أنه لم يستسلم لذلك الاحساس بل لابد من استحضار البدائل فكان الشعر احدها ، وإنما هذا ((لمكان الشعر من قلوب العرب وسرعة ولوجه في آذانهم وتعلقه بأنفسهم))[٤٦].

فضلاً ((عن قدرة الشعر على الفعل لأن الشاعر يستطيع أن يمحو فاعلية الكلمة بفاعلية كلمة مضادة[٤٧] ويبدو أن عدم خلود الذات ووعيها بحتمية الموت الذي سيوافيها يوماً هو الذي أوجد للشعر هذه الفاعلية التي تعي الحياة))[٤٨].

وقد ارتبط هذا المحور بالمحور الاول ، ذلك أن الأرجاني من الشعراء المداح الذين حاولوا أن يخلقوا لأنفسهم وممدوحيهم بقاءاً معنوياً فكان من جراء ذلك الخلق أن تبدت لنا قصيدة خالدة يصورها لنا الشاعر بصورة الفخر ، يقول بعد أن استكمل مدحه [٤٩]:

ولـــي خـــاطرٌ أضـــحى ، وأدنـــى بيانـــه لأبنـــــاء آداب الزمـــــان منـــــار

فليس كل بيانه وأدبه وإنما أدناه هو محط أنظار وقبلة منار للمتأدبين ، ويقول [٥٠]:

كـــلٌ مـــن البحـــر ممتـــارٌ لدرتـــهِ ولـــي إلـــى البحـــر راوٍ يحمـــل الـــدررا

ويقول [٥١]:

هاكهـــا عذبـــة المقـــاطع يحكـــي كـــل بيـــتٍ مـــنهنَّ ثغـــراً بـــرودا
فاتخـــذها لجيـــد عليـــاك عقـــداً لا تـــرى فـــي نظامـــه تعقيـــدا

ويتكئ على اللفظ الإسلامي في بيان بقاء شعره وخلوده بقوله [٥٢]:

اتتـــك ابنـــة الفكـــر التـــي لا يســـوؤها مـــع الكبـــر ألا تجعـــل المهـــر غاليـــاً
ثنـــاءٌ إذا انشـــدت فيـــك لصـــدقه كـــأني اتلـــو منـــه ســـبعاً مثانيـــاً
بيـــوتٌ أجـــلَّ الفكـــر قـــدر قريضـــها وألفاظهـــا لمـــا أدقَّ المعانيـــا
وســـوف أواليهـــا اليـــك قصـــائداً إذا كنـــت بـــالإكرام تلقـــى المواليـــا
فحســـبي أن تهـــدي الـــيَّ عنايـــة وحســـبك أن أهـــدي إليـــك القوافيـــا

نها معادلة رياضية ثنائية متناغمة مع المحور الاول الذي يجمع الممدوح+المادح+ القصيدة = البقاء

بل إنك تسمح القرآن الكريم إذا سمعت هذا الشعر وبما أن القرآن الكريم خالد وباقٍ فشعر الأرجاني مكتوب له البقاء أيضاً.

وعليه فالذات الانسانية تموت ولكن الذات الشاعرة لا تموت وبالإمكان عمل معادلة رياضية أخرى نستنتج عنها موضوعة الخلود والبقاء فمادمنا وشاعرنا نؤمن بحتمية الموت فلا بد من خلود معنوي يبقى حتى وإن رحلنا عن هذه الدنيا ، وإليك معادلتنا:

موت ((فناء الممدوج+ موت الشاعر+ بقاء القصيدة = بقاء الذكر الطيب فهو خلود

جسدياً ↓ جسدياً ↓ أثر خالد ↓

ويؤكد هذه الفكرة بقوله [٥٣]:

وعنـــدي دلاصٌ للكـــريم مضـــاعفٌ لهـــا الـــدهر افـــواه الـــرواة عيـــاب
بـــه فـــي صـــدور النـــاس يفـــرش لـــي هـــوىً ويحـــرش مـــن بـــين الضـــلوع ضـــباب

فـــــدونك بالعقـــــد الثمـــــين تحليـــــاً إذا نـــــيط بالجيـــــد الـــــذليل ســـــخاب

فالرواة والناس يروون شعره على مر الأيام والممدوح يعلق على جيده من فاخر جوهر النظم كناية عن الخلود المعنوي والذكر الطيب الذي احدثته فعاله وسجلته قصائد الشاعر.
ويستفيد من المعنى الإسلامي في بقاء ذكره وذكر ممدوحه من خلال القصيدة وذلك في قوله [٥٤]:

قـــــد ضـــــمن الله، ولـــــيس ينكـــــثُ إنـــــك مـــــا امتـــــدَّ الزمـــــان تلبـــــثُ
ألـــــيس فـــــي كتابـــــه فليبحثـــــوا أن الـــــذي ينفـــــع فهـــــو يمكـــــثُ

فأصبحت لدينا معادلة ثلاثية وليست ثنائية ما بين الممدوح والمادح والقصيدة ناتجها البقاء والخلود وهذا يتضح في قوله [٥٥]:

وإذا المـــــدح ســـــرى فـــــي جحفـــــلٍ فأنـــــا الحامـــــل فيـــــه للـــــواء
بقـــــريضٍ كلمـــــا حبّرتـــــهُ هـــــزّ أعطـــــاف الملـــــوك الكرمـــــاء

إن هذا الفخر وهذا البديل الحتمية الفناء ليس بجديد على الشعر العربي فقد وجدنا امثالاً له في الشعر العربي القديم ومنها على سبيل التمثيل لا الحصر قول ذي الرمة [٥٦]:

ســـــيأتيكم منـــــي ثنـــــاءٌ ومدحـــــةٌ محبـــــرةٌ صـــــعبٌ غـــــريضٌ قريضـــــها

إذن وجد الشعراء ومنهم الارجاني وسائل تساعد في استمرارية بقاءهم وديمومتهم وخلودهم وذلك من خلال القصيدة
لقد قام هذا المحور الخلودي في شعر الأرجاني على مفردات ذات دلالات نفيسة ما يساعد على استجلاء البقاء والخلود وإن رحلت الاجساد وفنت يقول [٥٧]:

لـــك منـــي فـــي الصـــدر حســـن ولاءٍ رشـــحهُ – مـــا بقيـــت- حســـن ثنـــاء
درٌ لفـــظٍ فـــي تبـــر معنـــى مصـــوغٍ فتقرطـــهُ- يـــا اخـــا العليـــاء
فحلـــي الرجـــال صـــوغ يـــد الفكـــ ـرِ وصـــوغ الايـــادي حلـــي النســـاء
عفـــو طبـــعٍ جاءتـــك فاجتلهـــا حســـ نـــاء بكـــراً ، فالحســـنُ للاجـــتلاء
فـــإذا مـــا بُعثـــت ، بابنـــة فكـــري لـــك جـــاءت تمشـــي علـــى اســـتحياء
إن كســـاك المـــديح فكـــري فكـــم قـــد أمطـــرت ديمـــةٌ علـــى الـــدأماء

لقد اشتركت دلالة الجوهر واللأليء ودلالات المرأة الحسناء البكر وفيها من دلالة الخصب والحياة ما يغني الحديث عنها ودلالة الكسوة كناية بقاء الممدوح من خلال القصيدة وأخيرا المطر والديمة فالقصيدة تشترك مع دلالات محورية الهاجس الأول من خلال الآخر في إضفاء صفة الحياة والبقاء والخلود للممدوح والشاعر والقصيدة معاً.
ويبلغ به المدى في فخره بشاعريته وبقاء شعره على مر الزمان بقوله [٥٨]:

مـــن كـــل ســـائرة بـــافواه الـــورى تحـــدو مطايـــا الركـــب أي حـــداء
انـــا اشـــعر الفقهـــاء غيـــر مـــدافع فـــي العصـــر أو أنـــا افقـــه الشـــعراء
شـــعري إذا مـــا قلـــت يرويـــه الـــورى بـــالطبع لا بتكلـــف الالقـــاء
كالصـــوت فـــي ظلـــل الجبـــال ، إذا عـــلا للســـمع هـــاج تجـــاوب الأصـــداء

إن هذه الصورة التشبيهية في البيت الاخير توحي بمقدرة الشاعر على صوغ الفاظه ومعانيه لدرجة منح شعره خلوداً ما بعده خلود.
إن الشاعر لا يأنس مع شيء ولامع احد إلا مع شعره والثنائية هنا تكون ثنائية الخلود ما بين الشاعر وقصيدته ، فالشاعر يعطي لقصيدته من فكره وروحه وعواطفه بما يمنحها خلوداً سائراً في الاكوان ، لتمنحه بالمقابل خلوداً وبقاءً بنوال الممدوح وعطاءه فهي ثنائية بقائية متناغمة خالدة فهو يقول [٥٩]:

ولا انـــــسَ إلا بالـــــذي نظمتـــــه تهـــــاداه دانٍ فـــــي الـــــبلاد ونـــــاء
جـــلا الفكـــر منـــي كـــل بكـــرٍ اقولـــه ولـــيس لنقـــب [٦٠] الشـــعر مثـــل هنـــائي[٦١]
وانـــي لأعطـــي الشـــعر أوفـــى حقوقـــه وإن لـــم يقـــف بـــي موقـــف الشـــعراء
عضـــلت ابنـــة الفكـــر المصـــونة خـــوف أن تـــزف الـــى مـــن لـــيس كفـــؤ ثنـــائي
واليـــتُ لا زارت كريمـــة مـــدحتي مـــن النـــاس أكـــرم الـــوزراء

وانت قارئ الأرجاني تلحظ أن الشاعر قد قرن القصيدة الخالدة بالحسناء البكر، أو الزفاف الى الممدوح ، وفي معنى الزواج صيرورة الحياة وبقاء النسل.
إذن المعجم اللفظي ذات الدلالة البقائية لهذا المحور تراوحت ما بين ((ابنة الفكر ، والدرر ، والحسناء ، والبكر ، والرواة ، وحامل اللواء والتبر ، الجيد ، حلي الرجال....))[٦٢].

وكم لي من قواف سائراتٍ مطوفـــــــة عراقـــــــاً وشـــــــاما

والدلالات لهذا المحور ذات طابع تزويقي تزييني ولا سيما في الحلي والدرر، والتبر وغيرها.

٣- المحور الثالث: هاجس البقاء من خلال الآخر (الغزل والحبيبة):

لم يحفل ديوان الأرجاني على ضخامته بالغزل وإنما كان جله في المديح كما بيّنا لكن قصائده كانت غالباً ما تبدأ بالغزل مما يعطي انطباعاً بنفاذ خلود القصيده الجاهلية وبنائها في بناء القصيدة الأرجانية. هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يوحي هذا القسم من القصيدة بأن الحديث للمرأة أو عنها هو جزء من التسلط الرغبوي في البقاء والخلود ، على الرغم من إننا نجد أن اغلب دلالات هذا القسم توحي بالفناء لأنه مرتبط دائم بالرحيل مما يعطي دلالة الفناء، واعتقد أن الشاعر يتعمد ذلك ليوقف حركة الزمن عند الممدوح ويجعله ارتدادياً مع المرأة لتكتمل ثنائية الحياة والرحيل في نفس الشاعر ، ومع هذه الثنائية فإن حديثه لها وعنها يوحي بقدرة تلك المرأة البخيلة الراحلة ، عن احداث الفعل في نفس الشاعر.

مما يشجع على القول أن ((المرأة هي الخالقة للقصيدة قبل ان يقولها الشاعر فيها))[٦٣]

فحضور المرأة في شعر الشاعر هو حياة ، لذا نراه يقول [٦٤]:

أهـــو التقـــاء احبـــةٍ بحبائـــب أم رد أرواح الـــى اجســـاد ؟

إنها ترد الأرواح الى الاجساد فلديها قدرة الفعل في نفس الشاعر أي لها قدرة الاحياء، ومن ثم قدرة الإبقاء والخلود.

ويتحرك الشاعر ضمن هاجس البقاء من خلال المرأة بأن بقاء حبها في قلبه هو الذي جعل له ديمومة الحياة ولولا ذلك الخلود لقضى نحبه [٦٥]:

اولئـــك هـــم روحـــي فلـــولا بقـــاؤهم مـــع البعـــد فـــي قلـــب المحـــب لهـــم قضـــى

المرأة في حياة الشاعر انتماء وليست مشروع قصيدة فقط فمنها مبدأه واليها منتهاه إنها رمز الحياة والبقاء إنها ثنائية ضدية ببقائها ورحيلها خلود وممات فهو يقول [٦٦]:

يـــا حيـــاتي وانـــت ضـــد حيـــاتي وقـــراري وانـــت غيـــثُ قـــراري
بـــك عيشـــي – إذا اردت- ومـــوتي قـــد جعلنـــاك فهمـــا بالخيـــار

إن هالة القدسية واضحة في قدرة الحبيبة على إحداث الفعل في نفس الشاعر من خلال الحياة والموت وعلى الرغم من إن هذا القسم من الشعر الارجاني حمل معنى الحرمان والفقد والرحيل والفناء فاحساس الامل والرجاء في نفسه باللقاء مع الحبيبة ظل قائماً ويتضح ذلك في قوله [٦٧]:

لـــولا رجـــائي ثانيـــاً للقائـــه مـــا كنـــت احيـــا ســـاعة فـــي نائـــه

٥- المحور الخامس:- هاجس البقاء من خلال الزمان

ارتبط هذا المحور من خلال ثنائية زمانية تكاد تكون ضدية ومنحت النص الأرجاني ثنائية البقاء والفناء (فالصبح والليل والضياء، والظلام) (والشتاء والربيع).

وارتبطت الدلالات الضدية الزمانية حاملة تصور البقاء في موضوع المدح، فالبقاء على شكر الممدوح والاعتراف بعرفانه يكون على مر الليالي بل هو مثابر على هذا الشكر ما بقيت الجبال [٦٨]:

وإنـــي علـــى شـــكري لهـــنّ مثـــابرٌ طـــوال الليـــالي مـــا اقـــام ثبيـــرُ

فالاحساس بالعرفان والشكر للمدوح جعله يختار دلالات زمانية تحمل معنى البقاء فقوله ((طوال)) واقترانها بما ترسخ في الذهن العربي من الثبوت والديمومة لبعض الرموز ومنها الجبال الراسيات ، وقد ضرب الشاعر لتلك الجبال الثابتة الباقية جبل (ثبير) وهو أعظم جبال مكة.

ويعطي دلالة زمانية للممدوح لتعطي تلك الدلالة إحساساً للمتلقي بـ النماء والاخضرار والحياة بقوله [٦٩]:

قـــدمت علينـــا والربيـــع بموعـــدٍ فقـــد عـــاد روض العـــيش وهـــو نضـــير

فأنت تلحظ اقتران الربيع الزماني رمز الخضرة والحياة بـ روض العيش كناية عن بذل الممدوح وعطاياه. والعيش النظر يعطي مقاربة دلالية زمانية مرتبطة بالممدوح دالة على الحياة والبقاء ويقول [٧٠]:

انـــت الربيـــع وفضـــلي فـــي ترقبـــه كـــالعود عـــاد إلـــى الإيـــراق مفتقـــرا

لقد قرن الشاعر الممدوح بفصل الربيع الذي له دلالة زمانية فضلاً عن دلالة الاحساس بالحياة إذ أن الحياة تكون في أوج بهجتها في هذا الفصل ، ويلحظ المتلقي أن الشاعر قرن الربيع بالممدوح وقرن نفسه بالممدوح ، فكما النبات يعود إلى الإيراق والإخضرار في فصل الربيع بعد شتاءٍ قاسٍ ، يعود الشاعر الى احساسه بالحياة والبقاء من خلال ترقبه لنوال الممدوح

الربيع ←——— للنبات = حياة.

الممدوح ←——— للشاعر = بقاء.

ويدعو الشاعر لممدوحه بالبقاء مرة بـ((ألف)) عام دلالة الزمان الطويل ومرة يدعو له بـ((طول السنين)) ليخلق احساساً ببقاء وحياةً الممدوح وليخلق احساساً بالخلود المعنوي ويتضح ذلك في قوله [٧١]:

فـــدم فـــي انعـــم للخلـــق تبقـــى علـــى مـــر الســـنين بهـــا فتايـــا
وعيـــد فـــي الســـعادة ألـــف عـــام وعـــش مـــا شـــئت فـــي نعـــمٍ ســـنايا

وليس اعتباطاً قول الشاعر (فتايا) فإنها توحي بالقوة والحياة !!
وتتبدى فكرة البقاء والفناء بدلالات زمانية من خلال الأثر الإسلامي أي من خلال فكرة الحياة والموت دون أن يفصل في الحياة الاخرة في الفكر الإسلامي يقول [٧٢]:-

ســـيبقى ويفنـــى النـــاظرون وتنقضـــي قبائـــل حتـــى ينقضـــي وشـــعوب
ولا بُـــدَّ يومـــاً مـــن فنـــاءٍ مقـــدرٍ ســـندعى إليـــه دعـــوة مجيـــب

فعلى الرغم من محاولات الشاعر الكثيرة لإضفاء الاحساس بالبقاء فما هي إلا دعوة من الواحد الاحد ليجيب داعي الموت ، لكنه موت الجسد لا موت الاثر ، وموت الدنيا ، لا وخلود الاخرة والذي يتضح في قوله [٧٣]:

وكأنمـــا داعـــي المنيـــة قـــابضٌ كبـــد الحنيـــة رميـــه إصـــماء
والمـــوت ســـترٌ خلفـــه مـــن فعلنـــا حســـناء ترضـــي المـــرء أو شـــوهاء
بعـــد الفنـــاء بقـــاء اعترفـــت بـــه نفســـي ، كمـــا قبـــل الفنـــاء بقـــاء

فـــالفكر الإســـلامي الـــذي اعتقـــده الشـــاعر يقـــوم علـــى حيـــاة ← مـــوت ← حيـــاة فهو الخلود الذي ينشده الشاعر بقوله كناية عن الخلود في الجنة (الحسناء).
وعلى الرغم من يقين الشاعر بموته لكنه موت الجسد لا موت الذات الخلاقة ففعلها باق خالد [٧٤]:-

إن مـــت لـــم يمـــت الـــذي ســـيرت منـــه مـــن كلـــم غـــوال

ويدعو لممدوحه بالبقاء والعيش الرغيد عن طريق مقاربة زمانية بقوله[٧٥]:

وأبـــق مـــا وشـــح الريـــاضَ ربيـــعٌ حاكيـــاً ورده خـــدود الحســـانِ
خالـــدً يـــا ابـــن خالـــد لا يطيـــق الـــد هـــر مـــا عـــاش هـــدم مـــا انـــت بـــان

فهي معادلة رياضية تقود الى نتيجة واحدة الدعاء ببقاء الممدوح يحيل بقاءه إلى بقاء الشاعر:
خلود الممدوح = بقاء الشاعر
خلود الشاعر= فناء الآخرين
الربيع = حياة النبات
هذه المعادلات البقائية تحيل إلى معادلات زمانية بقائية
الدهر + الهدم = فناء
الممدوح + البناء= بقاء
الدهر وهدمه # الممدوح وبناءه
ويعمد الشاعر الى الدلالات الزمانية التي تحيل الى الفناء ليطلب من خلال الممدوح منحه حياة وبقاءٍ بنواله وعطاياه إذ يقول [٧٦]:-

جـــاء الشـــتاء يريـــد هـــدمي فـــابنني عجـــلاً وإلا تبتـــدرني يكلـــب

فإذا ما تأخر العطاء فإن يد الدهر ممثلاً بـ(الشتاء) سيكلب عليه أي يسشتد فعل الدهر فيه ، فالشتاء رمز الفناء بدلالة لفظة الهدم تحيل الى الفناء في حين يدعو الشاعر لممدوحه بالخلود وتتكرر هذه اللفظة (٤) مرات خلال بيتين ، وإن كان المقصود من اللفظة بثلاث مواضع هي شخصيات تاريخية لكنها أثرت في الوجدان العربي فتركت اثراً خالداً كاسمها[٧٧]:

فقـــدم لنـــا حتـــى نـــراك أبـــداً منعمـــاً فـــي ظـــل عمـــر خالـــد
فـــي الجـــود مثـــل خالـــدٍ والبـــأس مثـــ ـــل خالـــدٍ والنطـــق مثـــل خالـــد

الكرم [خالد بن عبد الله القسري) + البأس [خالد بن الوليد] + الفصاحة [خالد بن صفوان] + الممدوح = بقاء الذكر ويتمنى الشاعر من خلال ثنائية الصبح والليل أن ينجلي الليل فالليل رمز الفناء أم الصبح فهو الحياة.
والدلالة القرآنية تحيل لمثل هذا التصور ﴿ **جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً** ﴾ [٧٨].

ألا صـــبح يتـــاح لـــه مضـــيء ؟ الا ليـــلٌ يُتـــاح لـــه مضـــي ؟

ويقول مصوراً هذه الثنائية [٧٩]:

فالليـــل أن انـــت لـــم تعجـــل وان مطلـــت ظلمـــاؤه فلـــه يصـــبح يجليـــه

وقد ذكر الشاعر لفظة الخلود في معرض خاتمة قصيدته وهو غالباً ما يختمها بالدعاء لممدوحه والخلود ليتبرز هذا الجانب من شعره في ظل ظروف صعبة حكمت الأمة الإسلامية من ذلك قوله [٨٠]:

أضـــــحت الأرضُ جنـــــة بـــــك للنّـــــاس س ســـــروراً ، فـــــلا عـــــدمت الخلـــــودا

ويقول [٨١]:

ولا زال فـــــي الأطـــــراب عـــــيشٌ مُهنّـــــا يضـــــمُّ لكـــــم شـــــملاً وملـــــك مخلـــــدُ

من خلال ما تقدم يتضح فعل الاحساس بالبقاء في احياء القصيدة عند الارجاني من خلال محاور ودلالات تبقي الاثر والذكر على صعيد الشاعر والممدوح والحبيبة والقصيدة ونعود لنعتذر للدكتور الطاهر لأنه لم يجد شيئاً يقف عليه في شعر الارجاني ووجدنا ما وقفنا عنده.

الهوامش:

[١] الوجودية/ جون ماكوري ص٤٥.
[٢] ملحمة كلكامش / ترجمة طه باقر ص١١٣.
[٣] جدلية الحياة والموت / نصوص ومقاربات حيدر الجراح ، ص٣.
[٤] الموت في الفكر الغربي ، جاك شورون ص١٧.
[٥] هاجس الخلود في الشعر العربي ، د. عبد الرزاق خليفة محمود ص١٦.
[٦] الانهمام بالذات / ميشيل فوكو ص٨٥.
[٧] مائدة افلاطون ، ص٦٦.
[٨] المصدر نفسه ، ص١٨.
[٩] الموت في الفكر الغربي ص٦٧.
[١٠] الضحى الآية ٤.
[١١] البقرة/ الآية ٣٩.
[١٢] البقرة/ الآية ١٦٢.
[١٣] البقرة/ الآية ٨٢.
[١٤] الهمزة، الايات ١- ٣.
[١٥] ينظر على سبيل المثال لا الحصر: الحياة والموت في الشعر الجاهلي، د. مصطفى عبد اللطيف جياووك هاجس الخلود في الشعر العربي في العصر الأموي، د. عبد الرزاق خليفة محمود، وثنائية الحياة والموت في شعر أبي فراس الحمداني، د. أحمد فوزي الهيب.
[١٦] في الادب الفلسفي ، د. محمد شفيق شيا / ص٢١.
[١٧] المصدر نفسه ، ص١١٤.
[١٨] الانساب ، السمعاني ، مج١/ ١٠٧.
[١٩] نقلاً عن الشعر العربي في العراق ، علي جواد الطاهر ، ج١، ص١٩٩.
[٢٠] الخريدة ، ج١/١٤١.
[٢١] الشعر العربي في العراق ، د. علي جواد الطاهر ج١/١٩٩.
[٢٢] عيون الاخبار ، ابن قتيبة ج٢/٢٠
[٢٣] هاجس الخلود ص١٣٧
[٢٤] الديوان ، ج٢/٤٣٢.
[٢٥] الديوان ج٢، ٤٠٨.
[٢٦] نفسه ج٢/٣٩٦.
[٢٧] المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري ج١/٤٩.
[٢٨] ينظر: الديوان ج٢/ ٦٣٤ و٦٩٣ وج٣/ ٩٩٠.
[٢٩] دراسات نقدية في الأدب العربي، د. محمود الجادر ، ص٢٤١.
[٣٠] الديوان ج١/١٨٨.
[٣١] الديوان ج١/ ١٥٨.
[٣٢] نفسه ج١/٧٥ وما بعدها.
[٣٣] القطار: جمع قطر المطر.
[٣٤] الديوان ج١/٧٧.
[٣٥] هاجس الخلود ، ص١٤٨.
[٣٦] الديوان ٢/٣٧٧.
[٣٧] نفسه ٢/٣٧٦.
[٣٨] سورة الأنبياء: ٣٠.
[٣٩] الديوان ٢/٤٠١.
[٤٠] الديوان ٢/٤٠٦.
[٤١] نفسه ١/١١٣.
[٤٢] نفسه ٣/١٥٦٠ وما بعدها.
[٤٣] الديوان ٣/١٥٣٢.
[٤٤] نفسه ٣/١١٢١.
[٤٥] نفسه ١/١١٠.
[٤٦] العمدة ابن رشيق ١/٤١.
[٤٧] هاجس الخلود ٤٢٤.

(٤٨) نفسه.
(٤٩) الديوان ٥٩٠/٢.
(٥٠) نفسه ٥٧٩/٢.
(٥١) نفسه ٥٠٨/٢ وما بعدها.
(٥٢) الديوان ١٥٨٢/٣.
(٥٣) نفسه ١٤٨/١ وما بعدها.
(٥٤) نفسه ١٦٠٠/٣.
(٥٥) الديوان ١١٤/١.
(٥٦) ديوان ذي الرمة ص٣٢٩.
(٥٧) الديوان ٢٧/١ وما بعدها.
(٥٨) نفسه ٤٣/١ وما بعدها.
(٥٩) الديوان ٤٩/١ وما بعدها.
(٦٠) النقب: الجرب.
(٦١) هنائي: القطران يعالج به الجرب.
(٦٢) الديوان ١٢٨١/٣.
(٦٣)رمز المرأة في ادب ايام العرب ص٨٠.
(٦٤) الديوان ٤٣٧/٢.
(٦٥) نفسه ٨٤٠/٢.
(٦٦) نفسه ٧٧٨/٢.
(٦٧) نفسه ٩٨/١.
(٦٨) الديوان ٧٦٦/٢.
(٦٩) نفسه ٧٦٧/٢..
(٧٠) نفسه ج٣ /١٥٦٢.
(٧١) نفسه ج١ /١٣٦.
(٧٢) الديوان ج١ /٥٩.
(٧٣) نفسه ١١٤٥/٣.
(٧٤) نفسه ١٥٠٤/٣.
(٧٥) نفسه ٢٠٦/٢.
(٧٦) نفسه ج٢ /٢٠٦.
(٧٧) الديوان ج٢ /٤٣٣.
(٧٨) سورة الفرقان: ٤٧.
(٧٩) الديوان ١٥٤٦/٣.
(٨٠) الديوان ١٥١٣/٣.
(٨١) نفسه ٥٠٩/٢.

ثبت المصادر والمراجع

- **القران الكريم**
- الانساب ، السمعاني ، محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٨.
- الانهمام بالذات ميشيل فوكو ترجمة جورج ابو صالح ، مركز الانماء القومي ، بيروت ، دون تاريخ.
- الحياة والموت في الشعر الجاهلي ، د. مصطفى عبد اللطيف حياووك ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٧.
- خريدة القصر وجريدة العصر ، عماد الدين الأصبهاني الكاتب/ القسم العراقي، تحقيق: محمد بهجة الأثري، د. جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٥٥.
- دراسات نقدية في الادب العربي ، د. محمود عبد الله كاد الموصل ١٩٩٠.
- ديوان الارجاني ، ناصح الدين أبي بكر احمد بن محمد بن الحسين ٤٦٠هـ-١٠٦٨هـ. تحقيق د. محمد قاسم مصطفى ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام – الجمهورية العراقية ١٩٧٩ ، دون طبعة ٣ اجزاء.
- ديوان ذي الرمة ، تصحيح كارليل هنري هيبس مكارتي ، مطبعة الكلية ، كمبرح ،جامعة كمبرج ، ١٩١٩.
- الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي من أواسط المئة الخامسة الى اواسط المئة السادسة ، علي جواد الطاهر مطبعة المعارف – بغداد ١٩٥٨ الجزء الاول.
- العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني أبو علي الحسن بن رشيق (ت٤٥٦هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة ، مصر ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٣.
- عيون الاخبار ، ابن قتيبة ابو محمد عبد الله بن مسلم ت٢٧٦هـ المؤسسة المصرية للطباعة ١٩٦٣.
- في الادب الفلسفي ، د. محمد شفيق شيا ، مؤسسة نوفل، ط١، بيروت- لبنان، ١٩٨٠.
- مائدة افلاطون كلام في الحب منقول عن الحكيم اليوناني ، محمد لطفي جمعة ، مطبعة التأليف ، مصر ، دون تاريخ.
- المستقصى في أمثال العرب ، جار الله ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت٥٣٨هـ، دار الكتب ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٣، ١٩٨٧.
- ملحمة كلكامش ، ترجمة طه باقر ، ط٢ مطابع الجمهورية بغداد ، ١٩٧١.
- الموت في الفكر الغربي ، جاك شورون ، ترجمة كامل يوسف حسين ، مطابع الرسالة، الكويت ، ١٩٨٤.
- الوجودية ، جون ماكوري ، ترجمةد. امام عبد الفتاح امام سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٢.
- هاجس الخلود في الشعر العربي حتى نهاية العصر الاموي ، د. عبد الرزاق خليفة محمود الدليمي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، بغداد ٢٠٠١.

الدوريات

- ثنائية الحياة والموت في شعر أبي فراس الحمداني احمد فوزي الهيب بحث منشور على الشبكة الدولية للاتصالات.
- جدلية الحياة والموت نصوص ومقاربات حيدر الجراح مجلة النبأ العدد ٣٥، ربيع الثاني ١٤٢٠ بحث منشور على الموقع.

www.Balagh , com /mosoa flase

- رمز المرآة في ادب ايام العرب ، د. عادل جاسم البياتي ، مجلة افاق عربية العدد ١٢- آب ١٩٧٧.